

أنانية ...

لاشك أن سبب تأخر الشرق وانحطاطه وسوء عيشه ، يرجع في الواقع إلى هذا الداء الويل الذي لا يزال يسرى في جسده ويسم دمّه وينخر عظامه ، وأعنى به مرض «الأنانية الفردية» ، ولن تقوم للشرق قائمة قط ما لم تستأصل منه جرثومة هذا الداء الويل .

وأنت تعرف أن تاريخ الإنسانية لم يكتب إلا بعد أن تألف الناس وتجمعوا وبنوا النهضة والحضارات القديمة والحديثة ، متضافرين في العمل متكاتفين في البناء ، غلوا الجماعة لما أمكن أن تكون لبني الإنسان حياة كالتى نراها . منها ما هو في سجل التاريخ ومنها ما يسير في ركاب الزمن ومنها ما يتطلع إليه الإنسان كمثل أعلى له . والآنانية الفردية معول هدام لصرح الحضارة البشرية .

وكل إنسان يستطيع أن يعرف ، كذلك ، قيمة التألف والتكاتف في قيام الكيان البشرى العظيم حين يدرك أن الفكرة الأصلية أو البدائية للجمع الإنساني كانت فكرة اضطرارية قهرية إذ لم يكن للإنسان حينذاك - وقد كان في مرتبة تشبه المرتبة الحيوانية - أن ينشأ وحيداً ، وهو أرقى الكائنات مدارك وأعلاها شأنًا وأبعدها آمالاً في الوجود ، وعندها فهم أن عليه أن يتجمع ويتآلف لكي يستطيع تأدية رسالته السامية على الأرض ، وإذا ففكرة «الفردية» فكرة مضادة مخربة تهبط بالإنسان من عليائه الرفيعة وتدنيه من همجته الأولى .

والشيء المؤسف المؤلم حقاً ، أننا لانقيم كبير شأن ، بل لانفكر أبداً في قيمة ما وهبنا الله من نعمة الأواصر والصلوات ، فلو أشرك أحدنا نفسه مع أخيه وآمن إيماناً عميقاً بالإخوة الصادقة واعتقد اعتقاداً راسخاً بأنه عضو في جسم يؤمله ما يؤلم سائر الأعضاء وينفعه ما ينفع الجماعة ، وأن الله خلقه تنمية لغيره ، وأنه لن يستطيع الانفصال عن هذا الغير مهما حاول ، وأنه لن يكون شيئاً له قيمة بدون مجتمعه وناسه . . . لو اعتقد أحدنا بهذا كله لكان لنا الآن مجتمع راق يقسم بالآلفة والتكاتف في معترك الحياة ،

نقترح ..

. . . نقترح على إدارتنا الصحية أن توجه جزءاً من اهتمامها إلى القرية الكويتية ، فإن القرية في الكويت تكاد تكون منسية في كل شيء ، كأنما أهلها ليسوا من صلب البلاد ، فليس في القرية أى إشراف أو توجيه صحى ، مما يسهل تفشى الأمراض فيها ، ولقد أحصى شاهد عيان عدد المصابين بالرمد بين تلاميذ مدرسة «الدمنة» فكان حوالى النصف من مجموع التلاميذ .

إننا نقترح أن يخصص قسم من وقت أحد أطباء الصحة ليزور كل قرية ، ولو مرة كل أسبوع ، فيعين لكل قرية يوماً محدوداً يجتمع فيه مرضى القرية في محل صحى ينشأ هناك ، وينقل من تتطلب حالته العلاج المستمر إلى المستشفى الحكومى وتكفى هذه الزيارات الكثيرين عن النزوح إلى المدينة وراء العلاج فيتكلفون المشاق والمصاريف التى لا داعى لأن يتحملوها وهم على ما هم عليه من فقر .

لا بد أن يشعر أهل القرى أنهم مواطنون يهتم بشئونهم وأحوالهم الصحية شأن كل مواطن في هذه البلاد . . .

ولاحس أحدنا إحساساً واضحاً بالآلم الآخرين ومسراتهم ، واندج فيهم اندماجاً كلياً . . . إذا رأيت كيف يكون النضوج العقلى وكيف يكون النضوج الاجتماعى .

أ. القارىء: إن فكرة الانفراد فكرة هدامة لكيانك فانبذ وراءك الاعتقاد بأنك فرد لا يهكم إلا ما يتصل بشخصك وحده ، وارسم في ذهنك كينونة اجتماعية تتسع كلما بلغ بك الرقى مبلغاً ، وترتفع بك كلما سمت بك الحياة ، واجهد أن تحس وأن تشعر شعوراً حقيقياً بما يصيب أخاك من خير أو شر ولا تؤمن مع الأنانى الذى يقول .

إذا مت ظمآنًا فلا زل القطر

بل ضع نصب عينيك قول الآخر .

فلا نزلت على ولا بأرضى سخائب ليس تنظم البلادا

ابن العاقول